

تفسير ابن كثير

يقول اﷻ تعالى إخبارا عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسماهم { ما أغنى عنكم جمعكم } أي كثرتكم { وما كنتم تستكبرون } أي لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب اﷻ بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال { أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اﷻ برحمة } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أصحاب الأعراف { ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس { قالوا ما أغنى عنكم جمعكم } الآية قال فلما قالوا لهم الذي قضى اﷻ أن يقولوا يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار قال اﷻ لأهل التكبر والأموال { أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اﷻ برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } .

وقال حذيفة إن أصحاب الأعراف قوم تكاثفت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسماهم فلما قضى اﷻ بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا : يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحدا خلقه اﷻ بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري ؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابني إبراهيم فيأتون إبراهيم صلى اﷻ عليه وسلّم فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون من أحد اتخذ اﷻ خليلا هل تعلمون أن أحدا أحرقه قومه بالنار في اﷻ غيري ؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابني موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه اﷻ تكليما وقربه نجيا غيري فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه اﷻ من غير أب فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن اﷻ غيري ؟ قال : فيقولون لا فيقول : أنا حجيج نفسي ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمدا صلى اﷻ عليه وسلّم فيأتوني فأضرب بيدي على صدري ثم أقول أنا لها ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش فأتي ربي D فيفتح لي من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي ثم أثني على ربي D ثم أخرج ساجدا فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول ربي أمتي فيقول هم لك فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطني بذلك المقام وهو المقام المحمود فأتي بهم الجنة فأستفتح فيفتح لي ولهم فيذهب

بهم إلى نهر يقال له نهر الحيوان حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصاؤه الياقوت
فيغتسلون منه فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب
الدرية ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة